

تفسير ابن كثير

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ^ط فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ ^ط إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابُهُمْ ^ج إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ^ج أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ

(قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) وأمره أن يسري بأهله من آخر الليل ، وأن يتبع أدبارهم ، أي : يكون ساقية لأهله ، (ولا يلتفت منكم أحد) أي : إذا سمعت ما نزل بهم ، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن استمروا ذاهبين [كما أنتم] . (إلا امرأتك) قال الأكثرون : هو استثناء من الميثب وهو قوله : (فأسر بأهلك) تقديره (إلا امرأتك) وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك ; لأنه من ميثب ، فوجب نصبه عندهم . وقال آخرون من القراء والنحاة : هو استثناء من قوله : (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) فجوزوا الرفع والنصب ، وذكر هؤلاء [وغيرهم من الإسرائيليات] أنها خرجت معهم ، وأنها لما سمعت الوجبة التفت وقالت واقوماه . فجاءها حجر من السماء فقتلها ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرا له ; لأنه قال لهم : " أهلكوهم الساعة " ، فقالوا : (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف قد

جاءوا يهرعون إليه من كل جانب ، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه ، وهم لا يقبلون منه ، بل يتوعدونه ، فعند ذلك خرج عليهم جبريل ، عليه السلام ، فضرب وجوههم بجناحه ، فطمس أعينهم ، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق ، كما قال تعالى : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر [ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر]) [القمر : 37 - 39] . وقال معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بن اليمان قال : كان إبراهيم - عليه السلام - يأتي قوم لوط ، فيقول : أنهاكم الله أن تعرضوا لعقوبته ؟ فلم يطيعوه ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله [لمحل عذابهم وسطوات الرب بهم قال] انتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلى الضيافة فقالوا : إنا ضيوفك الليلة ، وكان الله قد عهد إلى جبريل ألا يعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشر [والدواهي العظام] ، فمشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض شرا منهم . أين أذهب بكم ؟ إلى قومي وهم [من] [أشر خلق الله ، فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوها هذه واحدة . ثم مشى

معهم ساعة ، فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أشر منهم ، إن قومي أشر خلق الله . فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوا ، هاتان اثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياء منهم وشفقة عليهم فقال إن قومي أشر من خلق الله ؟ أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرا منهم . فقال جبريل للملائكة : احفظوا ، هذه ثلاث ، قد حق العذاب . فلما دخلوا ذهبت عجوز السوء فصعدت فلوحت بثوبها ، فأتاها الفساق يهرعون سراعا ، قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيف لوط قوما ما رأيت قط أحسن وجوها منهم ، ولا أطيب ريحا منهم . فهرعوا يسارعون إلى الباب ، فعالجهم لوط على الباب ، فدافعوه طويلا هو داخل وهم خارج ، يناشدهم الله ويقول : (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) فقام الملك فلز بالباب - يقول فسده - واستأذن جبريل في عقوبتهم ، فأذن الله له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه . ولجبريل جناحان ، وعليه وشاح من در منظوم ، وهو براق الثنايا ، أجلى الجبين ، ورأسه حبك حبك مثل المرجان وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج ، ورجلاه إلى الخصرة . فقال يا لوط : (إنا رسل ربك

لن يصلوا إليك) امض يا لوط عن الباب ودعني وإياهم ، فتنحى لوط عن الباب ، فخرج إليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم ، فصاروا عميا لا يعرفون الطريق [ولا يهتدون بيوتهم] ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال : (فأسر بأهلك بقطع من الليل) .وروي عن محمد بن كعب [القرظي] وقتادة ، والسدي نحو هذا .